بجرمهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم يعني أن وبال بغيكم راجع إليكم متاع
الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدأ والمعنى أن بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادا للآخرة وقيل هو
كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس إنما بغيكم مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب
العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي دكا وقد نظم بعضهم هذا الشعر وكان المأمون يتمثل به ويقول
يا صاحب البغي إن البغي مصرعة • فارجع فخير مقال المرء أعدله • فلو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه أعاليه وأسفله
قوله عز وجل ثم إلينا مرجعكم يعني يوم القيامة فننبئكم أي فنخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم
عليها قوله عز وجل إنما مثل الحياة الدنيا أي مثل بقائها في فنائها وزوالها كماء أنزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به يعني بالمطر
نبات الأرض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون مما يأكل الناس يعني من الحبوب والثمار والأنعام يعني ومما يأكل الأنعام
من الحشيش ونحوه حتى إذا أخذت الأرض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وظهرت ألوان زهرتها من أبيض وأحمر وأصفر
وغير ذلك من الزهور وازينت أي وتزينت وظن أهلها يعني أهل تلك الأرض أنهم قادرون عليها يعني على جذاذها
وقطافها وحصادها والكناية إلى الأرض والمراد النبات إذ كان مفهوما وقيل ردها إلى الثمرة والغلة وقيل إلى الزينة
أتاها أمرنا يعني قضاؤنا بإهلاكها ليلا أو نهارا يعني في الليل أو في النهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة مقطوعة
كأن لم تغن بالأمس يعني كأن لم تكن الأشجار والنبات والزرع نابتة قائمة على ظهور الأرض وأصله من غني فلان بالمكان إذا
أقام به وهذا مثل ضربه الله قائمة على وجه الأرض نبات المتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك أنه تعالى لما قال
يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغى في الأرض وتجبر فيها وركن إلى الدنيا وأعرض عن
الآخرة لأن النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ إخراجه يكون ضعيفا فإذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى
كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها على التشبيه إذا لبست الثياب الفاخرة من كل
لون جنس من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها صاحبها ويعظم
رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم إن الله تعالى أرسل إلى هذه الأرض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تغن من
قبل قال قتادة إن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل أن غاية هذه الحياة الدنيا التي
ينتفع بها المرء كمثل هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه لأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته
أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث
بعد الموت وذلك لأن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أتاه ما يتلفه بالكلية وإن الله تعالى
قادر على إعادته كما كان أول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف
كان قادرا على إعادة الأموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الآيات
لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون
ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله عز وجل والله يدعو إلى دار السلام لما ذكر هذه الحياة الدنيا وأنها
فانية زائلة لا محالة أتى بالدعاء إلى داره دار السلام وقال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسمائه
عز وجل ومعناه أنه تعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل إنه تعالى يوصف بالسلام لأن
الخلق سلموا من ظلمه وقيل لأنه تعالى يوصف بالسلام بمعنى دار السلام ولا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات
إلا هو وقيل دار السلام اسم الجنة وهو جمع سلامة والمعنى أنه من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب
والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لأن الله تعالى يسلم على أهلها وتسلم الملائكة عليهم وقيل
إن من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم إلى نفسه التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت

ولا



ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم ولا يصف إلا عظيما وقد وصف الله تعالى
الجنة بآيات كثيرة من كتابه ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشاء من خلقه إلى صراط مستقيم وهو دين
الإسلام بالدعوة أولا إظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق وإظهارا للقدرة فجعلت المغايرة بين
الدعوتين عن جابر قال جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم
إنه نائم وقلبه يقظان فقالوا إن لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة
وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فقالوا أولوها فقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم
فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما
لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب مثلا
صراطا مستقيما على كنفي الصراط دور لها أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو إلى دار السلام ويهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر
والذي يدعو من فوقه واعظ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى قال
ابن عباس للذين شهدوا أن لا إله إلا الله الجنة وقيل معناه الذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه وأطاعوه
فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى وزيادة قال ابن الأنباري الحسنى في اللغة تأنيث الأحسن والعرب توقع هذه
اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوبة فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى وزيادة اختلف المفسرون
في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الأول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله
الكريم وهذا القول لجماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وهو
قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي ويدل على هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما
روي عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم
فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم
تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن
كعب بن عجرة أحسنوا الحسنى وزيادة وروى الطبري قال الزيادة النظر إلى وجه الله وبه قال أبي بن كعب قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه
الله تعالى وبه عن أبي بكر الصديق للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله تعالى وبه عن أبي موسى الأشعري
قال إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون إلى ما أعد
لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى
وفي رواية رفعه أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه
وبه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شيء تعطونه قال فيتجلى لهم عز
وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر
إلى وجه الله تعالى فهذه الأخبار والآثار دلت على أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وأما المعقول فيقول
إن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها ألف التعريف فانصرفت إلى المعروف السابق وهي الجنة وإذا ثبت هذا وجب أن يكون
المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم وإلا لزم التكرار وإذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله